

## استعراضات من طنطا

محمد  
فوزى



فضائل التلفزيون - وهي نادرة - أنه عرفنى بأفلام محمد فوزى. فقد اعتاد عرض بعض منها بين الوقت والآخر، ولم أكن قد شاهدتها من قبل، فلم أهاجر إلى البندر إلا بعد حصولى على الثانوية العامة.

وفوزى قروى أيضا، لكنه تعلم من أهل البندر، وتفوق عليهم فى الأخذ بأشكال التطور الفنى، وقد فاضت أفلامه بالسبق فى السينما والغناء العربى والتجديد الذى سوف يظل مختوما باسمه فى تاريخ الفن فى منطقتنا.

١٥ سنة سينما فقط هى كل تاريخ محمد فوزى، و٤٨ سنة هى عمره فى الدنيا. أما إنجازاته فهى أكبر بكثير من سنواته الفنية والعربية مجتمعين.

رقص فوزى مع الراقصات المحترفات، وإن لم يتفوق عليهن، جاراهن فى مهنتهن، وأكد أنه يغنى، ويلحن، ويمثل ويرقص بقدر واحد من الكفاءة. فهو ينفرد بلقب الفنان العربى الشامل. لم يسبقه إليه أحد، ولم يتكرر كثيرا. فالفنان الشامل عملة نادرة فى العالم كله، فى استوديوهات هوليوود أو القاهرة.

رقص فوزى مع تحية كاريوكا فى فيلم «حب وجنون» ورقص «تشاتشاتشات» مع سامية جمال فى فيلم «كل دقة فى قلبى» ومع نعيمة عاكف فى فيلم «يا حلوة الحب».

وانفرد محمد فوزى فى تاريخ الغناء العربى بتقديم الـ «أكابيللا Acappella» العربية الوحيدة البعيدة عن الغناء الكنسى والدينى.

والأكابيللا شكل غنائى أوروبى له أصل دينى . ظهر فى القرن السابع عشر فى الكنيسة لتؤديه أصوات بشرية وبدون مصاحبة آلية . ابتكره الإيطالى بيرلويجى بالسترينا الذى قضى حياته فى خدمة الكنيسة ثم ظهرت مدارس لتطوير أكابيللا فى إيطاليا وخارجها عملت على تخفيف جرعة التوزيع البولينونى فيها .

وفى مصر اهتمت أحد مراكز التبشير المسيحى عام ١٩١٢ بتشكيل لجنة من الأدباء الملمين باللغة العربية والعلوم الدينية والفنون الموسيقية لتأليف مجموعة من التراتيل المنظمة شعرا . وتمت محاولة التوفيق بين تفاعيل هذه الكلمات مع موسيقى الألحان المنتخبة من الألحان الشرقية ، على أن يراعى فى الكلمات سهولة اللفظ وبساطة التراكيب ، وتم جمع هذه النصوص الأدبية ونشرت فى كتاب بعنوان «بهجة الضمير فى نظم المزامير» .

وقد صدر عام ١٩١٧ على نفقة الإرسالية الأمريكية الإنجيلية بمصر . وفى عام ١٩٢٠ أصدرت نفس الهيئة مجموعة النوت الموسيقية للألحان المختارة على أن تؤدى هذه التراتيل أصوات بشرية بدون مصاحبة موسيقية على طريقة أكابيللا .

وقدم محمد فوزى أكابيللا عربية ، وكانت غريبة وجديدة ومنفردة ، مما دعا البعض ليتصور أنها لم تأت صدفة ، إنما جاءت لتأخير الفرقة الموسيقية عن موعد التسجيل . فقرر فوزى معاقبتها بالاستغناء عن خدماتها وتحفيظ الملحن الملزمة الموسيقية لتؤديها الكورال فقط . إنها نكتة . ففوزى كان نجم نجوم السينما . ويكفى تليفون صغير منه ليهرول إليه أصحاب الفرق الموسيقية الموجودة فى الساحة .

ثم إن فوزى كان صاحب روح مرحة . ومتواضعا ، يعامل أعضاء فرقته الموسيقية بحب واحترام ، إذا غاب منهم أحد سأل عنه . وإذا مرض عاده ، وإن جاء موعد الطعام جمعهم سفرة واحدة فى أى موقع . أما الأجر فيعطيه لهم مضاعفا . ويهتم بهم من أول مهندس الصوت إلى حامل الآلات .

### كلمنى .. طمنى

كلمنى .. طمنى .. ارحمنى يوم يا حبيبي  
ليه بعدك .. ليه صدك .. فين عهدك يا حبيبي  
دا القلب اللي انت كاويه .. نار يا حبيبي



كلمنى مرة وقول.. مخاصمنى ليه على طول  
وارحم قلبى المشغول.. وابعت له مرة رسول  
لك حق تفرّج فيه.. عزالى ليل ونهار  
إكمن إيدك فى الميه .. وأنا اللي إيدى فى النار  
دا القلب اللي انت .. ناسيه  
نظرة من عندك .. تحييه  
مين غيرك يقدر .. يداويه

يا حبيبى

□□□

وظّف محمد فوزى الأصوات البشرية بكل طبقاتها لمصاحبتة فى غناء هذا «القلب» وقد اختارها من كورال الأوبرا. فأصوات الرجال (الباص) عزف الإيقاع. وبعض الرودود فى اللزمات الموسيقية، وأصوات النساء (السوبرانو) عزفت اللزمات كمقدمة موسيقية، وبين الجمل اللحنية. كما تم استخدامها فى عزف جمل فى خط موسيقى ثان مصاحبا الخط الغنائى (كونتربوينت) أما صوت محمد فوزى فيمثل طبقة مختلفة عن طبقتى السوبرانو والباص عند الكورال، فهو من طبقة الباريتون.

وقد يكون محمد فوزى استعان بموزع موسيقى متخصص ودارس لعلوم الموسيقى، لكنه كمطرب وملحن ومنتج أيضا، يحسب له تاريخ الفن هذه التجربة الجذابة الجريئة النادرة.

□□□

وفى فيلم «معجزة السماء» الذى تضمن أكابيللا «كلمنى.. طمنى» وهو من إخراج عاطف سالم ١٩٥٦، تضمن أول أغنية أطفال لنجم سينمائى ومطرب كبير، هى الأغنية التربوية «ذهب الليل.. طلع الفجر».

وكانت أفكار فوزى فى غناء الأطفال مدروسة وليس كل من درس الموسيقى أو غنى يمكنه أن يقدم شيئا للأطفال. كما أنه ليس شرطا أن يقدم أديب كبير أو طالب مرموق فنا أو فكريا يناسب الطفولة وقدراتهم العقلية والإدراكية.

كان محمد فوزى يدرك الهدف من وراء الإقبال على هذه الخطوة الفنية الجريئة أيضا. وكان يرى أن ثقافة الطفل هى مشكلة دولة وأن أعباء ترجمة الكتب الأجنبية وتكليف

الفنانين بالكتابة للأطفال وطبع هذه الأعمال على أسطوانات . لم يكن أحد يتمكن من أن ينهض بها إلا الدولة.

كتب أغنية «ذهب الليل ... طلع الفجر» الشاعر حسين السيد في لون محبب من التوجيه .. يحض فيها الأطفال على المذاكرة والبعد عن الشقاوة، تقول كلماتها:

ذهب الليل.. طلع الفجر والعصفور صوصو  
شاف القطعة.. قالها بس بس قالت له نونو

□□□

ماما قالت له سيب القطعة وخليها ف حالها  
فات مدرسته ورمى كراسته وراح جر شكلها  
راحت القطعة مخربشة إيده لما مسك ديها  
وآدى جزاء اللي ما يسمعش كلمة ماما تقولها

□□□

أبله قالت له فيفي الحلوة زعلت من سوسو  
راح يصالحها وباسها وهي حلفت ما تبوسو  
جابت الحبر وعاصت إيدها وجت بشويش جنبه  
مسحت إيدها ف وشه وعملت أل إيه بتلاعه  
سوسو ضربها ومسك الحبر اللي فى إيدها وقلبه  
على فستانها وشافهم بابا وضربها وضربه

ذهب الليل

ندر عليه لأجيلكو وأولع شمعة من شمعة  
لحد الشبر ونص ما يكبر ويروح الجامعة  
ميمى دكتور وسعاد دكتورة واحنا ندعيلكو  
وصلاح يبقى محامى وتوتو قاضى يصالحكو  
وعصام بكره حيبقى ظابط ويدافع عنكو  
يفدى وادى النيل بحياته وحياته منكو

ذهب الليل

استخدم محمد فوزى فى لحن الأغنية آلة الأكورديون، وكانت هى الآلة المستخدمة فى مدارس مصر، فى طابور الصباح لعزف النشيد القومى. وفى حصص الموسيقى وحفلات المدارس فى المناسبات المختلفة من عيد الأم إلى ذكرى مولد الرسول عليه الصلاة والسلام. أما اللحن فهو شجى جذاب وليس مدرسيا كالعادة فى أغاني وأناشيد المدارس للأطفال. وقد زاد من جاذبيته تقليد المطرب الكبير لصوت القطة فى «ناو ناو»: والسرد المنطقي لكلمات الأغنية يتخلله ردود الأطفال للمذهب وبعض المقاطع.

أراد محمد فوزى أن يكون مكتبة لأغاني الأطفال. فقدم الأغنية التليفزيونية «ماما زمانها جاية» تأليف حسين السيد وإخراج محمد سالم، وكانت جديدة فى طالعها. يتخللها بكاء طفل تم نقله من أسطوانة ألمانية ومحاولة صوتية من فوزى لإسكاته بصوت تصويره الشفاة اعتماد الكبار أن يسكتوا به الأطفال. أما المصاحبة الموسيقية فكانت لآلة البيانو اللزمة الموسيقية إيقاعية والأداء تمثيلى غنائى بسيط ومعبر.

لحن محمد فوزى أغنية «كان وإن» للأطفال لتعريفهم بالثورة وأعمالها وشاركوه الحوار الغنائى وترديد مقاطع من الأغنية.

وليست أغنية الطفل وحدها هى الانفراد أو السبق الذى حققه محمد فوزى فى أفلامه، إنما انفراد بتقديم ألوان غنائية أخرى. فقدم أول أغنية لعيد الميلاد فى السينما العربية وهى: «يانور جديد فى عيد سعيد.. دا عيد ميلادك أحلى عيد» وقد غناها فى فيلم «نهاية قصة» عام ١٩٥١ وذلك بعد ثلاث سنوات من تقديمه أول أغنية رمضانية فى السينما العربية، وهى المسرحياتى «يا عباد الله وحدوا الله» فى فيلم «بنت حظ». وقد قدم فى نفس العام أول أغنية عن الحج فى فيلم «حب وجنون» وهى أغنية «ياللى زرت البيت.. ومن زمزم اتوضيت.. وع النبى صليت».

أنتج محمد فوزى أول فيلم عربى ملون بالكامل، وكانت السينما العربية أنتجت بعض الأفلام التى تتضمن «بوينيه» أو فصل من فصول فيلم بالألوان وهو ما حدث فى فيلم «لست ملاكا» لمحمد عبد الوهاب، الذى عرض ١٩٤٦.

أقبل فوزى على تجربة السينما الملونة فى فيلمين هما «نهاية قصة»، «بابا عريس» عام ١٩٥١. وتم تصويرهما بإرسالهما إلى فرنسا للتحميم فى معاملها، لكن الفيلمين أصابهما التلف هناك فأعاد فوزى تصوير الفيلم الأول بعد أن دفع أجور الفنانين والمغنين مرة ثانية

حتى بلغت تكاليف الفيلم ١٢٠ ألف جنيه وهى ميزانية كانت تكفى لإنتاج خمسة أفلام فى ذلك الزمان.

وابتكر محمد فوزى شكلا من الغناء الذى يخلط فى كلماته بين العربية ولغات أجنبية وهو ما سمي بالفرانكو آراب.. لحن «يا مصطفى يا مصطفى» ليغنيها «برونو» شقيق المطربة العالمية من أصل مصرى «داليدا» لكنها انتشرت وذاع صيتها بصوت المطرب النوبى بوب عزام ١٩٥٩ فكرر فوزى التجربة الفرانكفورية فى أغنية ثانية هى «فطومة».

قدم محمد فوزى فى أفلامه اللون الكوميدي. كما أبدع فى ألوان أخرى من الغناء هو الاستعراض. والدويتو والتريالوج. ففى مجال الاستعراض قدم لأول مرة القصص الأسطورية فى قالب كوميدي ومنها أسطورتى «روميرو وجوليت» و «مجنون ليلى».

أما الدويتو. فبالرغم من أنه ظهر فى الغناء العربى فى أعمال سيد درويش المسرحية وفى أفلام محمد عبد الوهاب. إلا أن محمد فوزى قد تميز فى تقديم دويتو. يتسم بالتعبيرية الخالصة مع خفة الظل. وفى إطار من الغناء الشرقى الجميل واللحن السهل الممتنع الذى عرفت به كل ألحان محمد فوزى. بالإضافة إلى فهمه العميق لطبيعة وقدرات الصوت النسائي الذى يشاركه فى أداء الدويتو.

غنت نور الهدى مع فوزى دويتو «أنا مش حلو» ودويتو «تعالى أفولك كلمة هناك» وغنت معه سعاد مكاوى دويتو على صورة مديحة يسرى. وغنى أكثر من دويتو مع شادية منها «متهيألى» فى فيلم «الروح والجسد» ١٩٤٨. وشارك ليلى مراد أكثر من دويتو. منها «ياسلام على كده» و «شحات الغرام» فى فيلم «ورد الغرام» ١٩٥١ و«أنا حبيبتك الأول».

ويعد دويتو «شحات الغرام» من أشهر ما غنى محمد فوزى وأيضا ليلى مراد. كتبه بديع خيرى ليعلم المشاهدين معانى الحب والشوق بلغة الشحاتين. وقد انتشر وصف محمد فوزى بـ «شحات الغرام».

ودويتو «مثلا» بين محمد فوزى وصباح. مثال رائع لهذا القالب ونموذج للترام فوزى بأسلوب التعبير اللحنى عن الكلمات بأسلوب جذاب لا يخلو من خفة الظل مع الشجن. وأكثر محمد فوزى فى أفلامه من تقديم قالب «التريالوج» الذى يشارك فى غنائه ثلاثة أصوات رجالي أو حريمى. فقدم «الحب له أيام».. (محمد فوزى وشادية وإسماعيل يس).

«الفراخ» (محمد فوزى وليلى مراد واسماعيل يس). «قالولى فيين الجمال» (محمد فوزى ونعيمة عاكف وسليمان نجيب).

كان نجوم الغناء العربى يعانون من الذهاب إلى العواصم الأوروبية من أجل طبع أغانيهم على أسطوانات. ففكر محمد فوزى بعقلية الاقصادى البارع الواعى فى مشروع يحديهم من التعب والإرهاق. ويوفر على الدولة المال المصرى المنصرف خارجها. فكر فى إنشاء أول مصنع عربى لصنع الأسطوانات.

وبدأ البناء فى عام ١٩٥٩ فى حى العباسية بالقاهرة، وأشرفت على ذلك الفنانة مديحة يسرى. وكانت زوجة لفوزى فى هذا التاريخ. بينما انشغل هو بشراء الأجهزة والمعدات اللازمة من هولندا.

وقرر فوزى أن يتفرغ لإدارة مصنعه. على أن يتحول التلحين والغناء فى حياته إلى مجرد هواية. أطلق على مشروعه «مصرفون» وتعاقد على احتكار صوت أم كلثوم وصوت نجاته بالإضافة إلى ألقانه التى غناها هو والآخرون، كما يحسب للشركة زيادتها فى تسجيل القرآن الكريم على أسطوانات لأول مرة داخل مصر.

هذا المصنع كان بوابة للمتاعب التى واجهها محمد فوزى. أولها القطيعة التى قامت بينه وبين عبد الحليم حافظ وكانا صديقين فى البداية. فلما ركز فوزى اهتمامه فى مصنعه وشركة الإنتاج التابعة له. اشتعلت المنافسة بينهما باعتبار أن عبد الحليم هو الآخر كان قد أنشأ مع محمد عبد الوهاب شركة للإنتاج هى «صوت الفن».

أما قمة المتاعب التى جلبها المصنع لمحمد فوزى. وكانت سببا بتعجيل نهايته والأعمار بيد الله. فهو التأميم الذى انتهجته مصر لكل المشروعات الخاصة الكبيرة عام ١٩٦١. وقد شمل «مصرفون» والفيلا التى كان يسكنها فوزى فى شارع الهرم ملحقا بها أستوديو للتسجيل وكذلك تأميم أستوديو العتبة للتسجيلات الخاص بفوزى.

أبلغ محمد فوزى نبأ التأميم فعلق يهدد: «أهلا وسهلا.. دى حاجة فى مصلحة الجميع» فلما ذهب ليستطلع الأمر. وبدعوة من المدير الجديد للمصنع وقد عينته الدولة لهذه المهمة. دخل على المدير وكان جالسا إلى مكتبة. فمد يده مصافحا. ولم يمد المدير يده. ولم يسمح له حتى بالجلوس مبديا عدم الاهتمام بحضوره.

قال المدير لفوزى، أصدرت أمرا بتعيينك مستشارا فنيا للشركة، ونادى على السكرتير ليصاحب فوزى إلى مكتبه الجديد، وإذا به غرفة كانت مخصصة لعامل البيوفيه، تم تزويدها بمنضدة صغيرة وكرسى خيزران، فانسحب فوزى معتدرا عن الوظيفة، وعاد إلى بيته لينام ثم يقوم صارخا من آلام شديدة فى ساقيه.. إنها بداية طريق الآلام من مرض مجهول لم يسبق أن أصاب مصرى أو عربى حتى أسموه الأطباء «مرض محمد فوزى» فلم يكن «سرطان النخاع» قد عرف بعد، لكن المرض المجهول الرهيب، أسرع بنهاية محمد فوزى ومات كمدا لما حدث له أو لما جلبه له هذا المشروع الفنى الرائد، والأعمار بيد الله.

وأصدرت وزارة الاستثمار فى مصر عام ٢٠٠٩ سلسلة نشرات عن «رواد الاستثمار» خصت محمد فوزى بوحدة منها وقدمت ما يمكن اعتباره اعتذارا له بعد تعرضه للظلم والاضطهاد والتعسف والقهر لمدة نصف قرن، وكان صاحب استثمارات فى الفن تزيد على ثلث المليون جنيه فى أوائل الخمسينات وهو مبلغ كبير يعير ذلك الزمن وأن استثمارات تعرضت للتأميم من جانب الثورة واعتبر فوزى عدوا للشعب وعومل كصاحب ثروة مشبوهة. وفجرت النشرة تساؤلات بدءا من أهمية الاستثمار الفنى وجدواه مرورا بقصة التأميم ووصولاً إلى فلسفة التأميم والتي لم ترحم حتى الاستثمارات الفنية. وأكدت أن التمييز ضرورى عند التطبيق العملى بين منشأة ومنشأة وبين مستثمر وآخر. ومن ثم فإنه وأيا كان الإطار القانونى المتبع فإن فنانا مثل محمد فوزى لا يستحق العقاب بالتأميم من ناحية لأنه أنشأ مشروعا وطنيا غير مسبوق، مما يستدعى التشجيع والدعم ومن ناحية أخرى لأنه لم يكن مستغلا أو عدوا للشعب، أو صاحب ثروة مشبوهة مجهولة المصدر.

وعودة إلى قصة التأميم كما ذكرها مرجع وزارة الاستثمار لم يكن محمد فوزى من الأغنياء الوراثيين، فهو ابن بيئة ريفية فقيرة. وعندما انتقل إلى القاهرة فى أواسط الثلاثينيات، عانى فى السنوات الأولى، من الحرمان والشقاء وشظف العيش. لكنه تجاوز تلك المرحلة البائسة بالعمل المضنى الجاد واستطاع بموهبته الفذة أن يحظى بنجاح مستحق ومكانة فريدة فى عالمى السينما والغناء وصولاً إلى تأسيس شركته الخاصة للإنتاج السينمائى فى عام ١٩٤٦. ومن خلال شركته هذه حقق تراكما ماديا يتوافق مع موهبته العريضة من ناحية، ومع جهده ودأبه وحسن إدارته من ناحية أخرى. كان بعض أبناء جيله من الفنانين ينفق

النقود عبثا دون ادخار أو تفكير اقتصادى استراتيجى ، وكان البعض الآخر يستثمر أرباحه فى اقتناء العقارات وشراء الأراضى والتوجه نحو المشروعات التجارية مضمونة الربح السريع. أما محمد فوزى فقد قرر أن يخوض تجربة منافسة ممتعة ومعقدة وأن يتوج رحلته كفاحه بمشروع وطنى متميز يقدم من خلاله خدمة جليلة للفن والفنانين بكل تحويشة العمر التى بلغت ثلاثمائة ألف جنيه. وهو مبلغ ضخم بمقاييس منتصف الخمسينيات من القرن العشرين.

أسس محمد فوزى شركة «مصرفون» لإنتاج الاسطوانات هادفا بمشروعه المبتكر هذا إلى ضرب الاحتكار الأجنبى لسلمة حيوية هى الأسطوانات الموسيقية والإنتاج الغنائى. وكما كانت خزينة الدولة تتكلف من أعباء مادية فى سبيل استيراد ما لا غنى عنه.

ولد المشروع عملاقا فى الثلاثين من يولية ١٩٥٨ ، افتتحه وزير الصناعة الدكتور عزيز صدقى مستندا إلى الفكرة الإيجابية البناءة التى توفر العملة الصعبة ، ويتيح إنتاج أسطوانة محلية رخيصة السعر. لا يزيد سعرها على خمسة وثلاثين قرشا وغير قابلة للكسر ويمكن استخدامها على الوجهين. فتتسع لأغنيتين، بينما كانت أرخص أسطوانة مستوردة فى ذلك الوقت بجنيه كامل ولا تستوعب إلا أغنية واحدة، وقابلة للكسر.

وإذا كان المواطن العادى قد أفاد من مشروع محمد فوزى فإن الفنانين أنفسهم كانوا أكثر إفادة. ذلك أن الشركة قد وضعت نظاما جديدا فى التعاقدات لم يكن موجودا من قبل. يحصل الفنان بمقتضاه على نسبة من إيراد بيع الأسطوانات التى تنتجها الشركة. وبدأ تطبيق هذا النظام مع أم كلثوم. وكان المتبع من قبل عند سيطرة شركات الأسطوانات الأجنبية على السوق فى مصر أن يمنح الفنان مبلغا من المال مقابل حق استغلال أغانيه، ومهما تحقق هذه الأغاني من الإيرادات والأرباح لا يحق للفنان المطالبة بمبلغ إضافى. فجاء محمد فوزى ليمنح زملاءه من الفنانين ما يعرف بحق الأداء العلنى والطبع الميكانيكى. فقد كانت القوانين فى ذلك الوقت تخص المؤلف والملحن فقط فى الحقوق.

بينما يسير العمل بحس اقتصادى لا يغفل الجوانب الإنسانية وإذا بسيف التأميم يهوى فجأة على الشركة الوليدة، ويستيقظ محمد فوزى ذات صباح ليجد نفسه مدينا للمصنع الذى كان يملكه، بعد أن أنفق كل مدخراته ولم يعد له إلا راتب شهرى محدد لا يزيد على مائة جنيه.

ويطرح مرجع وزارة الاستثمار تساؤلاً مهماً، وهو: كيف يكون التأميم عقوبة نجاح وطني غير مسبوقة. أشاد به وزير الصناعة نفسه وهو يفتتح المشروع؟ لقد أحسن الفنان الكبير إدارة المشروع متفرغاً له وساعياً إلى المزيد من التوسع والازدهار. وكان يشعر في أعماقه بالارتياح والسعادة. فهل من ريادة سبقت مبادرته هذه على مستوى الشرق الأوسط؟ وهل من فخر يفوق حرصه على تجهيز أستوديو حديث لتسجيل الأغاني؟

كانت الشركة هي الأولى من نوعها في الشرق الأوسط وتملك مصنعا حديثا لصناعة أسطوانات، ولها أستوديوهات في مدينتي القاهرة والإسكندرية، وقد استقدم محمد فوزي لها خبراء متخصصين ليتعلم منهم المصريون أسرار الصناعة الجديدة، وأصبحت أسطوانات أغاني المطربين والمطربات تسجل وتطبع في مصر بعد أن كانوا يلجأون إلى اليونان وفرنسا وإيطاليا.

اقتحم فوزي مجالاً - الكلام مازال لنشرة وزارة الاستثمار - أضاف إلى الحياة الفنية والحركة الاقتصادية أبعاداً جديدة بالتشجيع. لكن الحكومة المصرية أمتت الشركة ١٩٦١ وأهدرت جهد الفنان الذي اجتهد، فناله العقاب. وقد باع محمد فوزي في سبيل مشروعه الناجح كل ما كان يملكه من الأراضي والعقارات. وأضاف إلى ذلك أمواله السائلة. ثم جاء التأميم ليسلب كل شيء. ويعرض على الفنان أن يكون موظفاً ذا راتب محدود ويلا سلطة حقيقية. مما حول الرجل إلى شخص آخر مكتئب لا يريد أن يتكلم عما بداخله وكأنه يحمل هموم الدنيا بأكملها. فقد عاملوه بقسوة وعنف وبدلاً من أن يعينوه مستشاراً على شركته كما جرى عرف ذلك الزمان سجنوه داخل مكتب صغير وأجبروه على الصمت فامتلاً جسده النحيل بالحسرة وبدأ رحلة مريرة مع المرض.

□□□

إذا كانت نشرة وزارة الاستثمار في مصر وقد تضمنت هذه التفاصيل تعد اعتذاراً للفنان الراحل. فقد جاء بعد فوات الأوان، ليرد للرجل بعض حقوقه، فالشكر لوزارة الاستثمار وجنة التعميم للفنان الذي مات مظلوماً.

اسمه محمد فوزي (اسم مركب) والده هو حسن عبد العال الحو، ولد يوم ٨ أغسطس ١٩١٨ في قرية أبو جندى مركز طنطا. الأب فلاح والأم غير متعلمة والأولاد خمسة أكبرهم فوزي وثالثتهم جمالات بهيجة (هدى سلطان فيما بعد) وتصغر شقيقها بعشر سنوات

أطفال أطربوا العالم —

كاملة، وباقي الأشقاء خديجة الحورية وأحمد نظمي وزينب عواطف (المطربة هند علام فيما بعد). «لاحظ كل الأسماء مركبة وكان ذلك تقليدًا ريفيًا في مصر من أجل إرضاء أسرتي الأب والأم».

الوالد كان يتمتع بصوت حلو، وجمال التجويد للقرآن الكريم، وكان يجمع أقاربه وأصدقاءه وجيرانه ويتلو عليهم ما تيسر من آيات الذكر الحكيم. والوالدة كانت هي الأخرى تجمع الجيران والأقارب، وتأتي بسيدة مقرئة تتلو عليهم القرآن الكريم.

المناخ المنزلي وقور لا يتيح الفرصة لممارسة أى وسيلة للتعبير الفنى. لذلك كان الطفل محمد فوزى دائم الهروب إلى الشارع. وكان يحلم بأن يكون مطربًا شهيرًا مثل سيد درويش.

فى طنطا وفى المدرسة الابتدائية، كان يتجمع التلاميذ حول زميلهم فوزى ليستمعوا منه إلى أغاني محمد عبد الوهاب وأم كلثوم. قبل أن يهرولوا إلى ملعب كرة القدم جميعًا.

أما يوم الجمعة، يوم الإجازة المدرسية فهو يوم المنتزه، وفى حديقة المنتزه فى مدينة طنطا تعزف فيها فرقة موسيقى الملجأ العباسى. وما أن تنتهى الفرقة من تقديم برنامجها حتى يبدأ برنامج فوزى استثمارًا للتجمع الجماهيرى الموجود فى كشك الموسيقى. يبدأ الغناء «كلنا نحب القمر» وبعدها «حسدونى وبأين فى عنينهم» بعدها «ياجارة الوادى» ثم ينتقل من أغنيات محمد عبد الوهاب إلى أغاني أم كلثوم فيغنى «اللى حبك يا هناه» ومنها إلى «يا أمر الفراق».. والتصفيق متواصل بعد كل أغنية، وطلبات الجمهور مجابة من المطرب الصغير الذى لم يبلغ من العمر أكثر من اثنى عشر عاما.

كان جمهور حديقة المنتزه يضم فى بعض الأحيان متعهدين لحفلات الأفراح والليالى الملاح التى يقيمها أهل طنطا فى المناسبات الاجتماعية، اتفق واحد من هؤلاء المتعهدين مع المطرب الصغير على إحياء فرح. الطفل نام بدرى استعدادًا للسهر، ولما جاء الموعد سعد ليغنى للعروسة أم فستان أبيض والعريس أبو بدلة سوداء، فماذا غنى؟ أيها الراقدون تحت التراب!! إنه طفل لم تتسع مداركه بعد ليعرف ماذا يغنى ولمن، إنه يغنى من أجل الغناء، ولم يمنع نفسه، فلم يكن قد تحول الغناء إلى مهنة أو وسيلة للعيش. ولم يكمل المطرب وصلته الأولى. وتم طرده شرطدة، ومع ذلك فلم يرتجع المتعهد إياه عن استغلال الطفل الموهوب، خاصة أنه لم يكن يعطيه أجرًا. ويغنى بلوشى.

— أطفال أطربوا العالم —

فى مدرسة طنطا، أعجب أستاذ التاريخ بصوت الطفل الموهوب ونصحه لوجه الله أن يدعم موهبته بالعلم، وأرشده لمدرس يمكن أن يتعلم منه طريقة العزف على آلة العود بالإضافة إلى تحفيظه بعض الموشحات والأدوار القديمة اللازمة لصقل الصوت. المدرس كان عسكرياً فى فرقة موسيقى المطافىء بطنطا اسمه محمد الجرببلى.

اتسعت دائرة النشاط الغنائى لمحمد فوزى، من فرح لفرح، ومن مولد فى هذه القرية إلى مناسبة فى قرية أخرى.. انتظارا للموسم السنوى الكبير، وهو مولد السيد البدوى، رضى الله عنه، فيه تقام «النصبات» لكبار منشدى مصر ومبتهليها يأتون من كل فج عميق، فيقيم المطرب الصغير «نصبة» صغيرة إلى جوارهم وما فيش حد أحسن من حد. والأطفال يجب أن يتوقفوا عن الغناء عند سن المراهقة حتى لا تصاب أحبالهم الصوتية بالتلف. ومن الناحية التربوية فإن سهر الأطفال لساعات متأخرة من الليل سلوك غير تربوى.

كان ذلك سبباً وجيهاً ليسعى جورج روتير المشرف على كورال كاتدرائية سانت سطفان لمنع هايدن من الاشتراك بالإنشاد فى الكورال عندما بلغ سن المراهقة، وهو نفس السبب الذى من أجله أبلغ أمير الشعراء أحمد شوقى حكمدار العاصمة ليمنع الطفل محمد عبد الوهاب من الغناء فى سن المراهقة، وهو السبب الذى دفع الكاتب فكرى أباطة، ومحمد عبد الوهاب للمطالبة بوقف الطفلة نجاة حسنى «نجاة الصغيرة فيما بعد» عن الغناء فى سن الطفولة عندما استمع إليها وهى تغنى فى حفل بالإسكندرية. وقام بوليس طنطا بدور جورج روتير وأحمد شوقى وفكرى أباطة بالنسبة لمحمد فوزى. فقبل أن يبدأ وصلاته فى المولد، جاءه عسكري يطلب الذهاب معه للقسم، مطلوب للمقابلة مع البية الضابط.

لم يذهب فوزى مع العسكري وقال له «روح قول للبيه الضابط الجمهور ينتظرنى ولا أعرف متى أنتهى من الغناء».

وما هى إلا دقائق وإذا بالبوليس والزبانية يقلبونها ضلماً، هد ياواد، اطف يا جدد، وارتدى الجمهور فى لحظات طاقة الإخفاء.

لم يكن السرداق مخصصاً لغناء فوزى فقط، إنما لبرنامج طويل عريض من رقص وغناء واسكتشات. وقد أضير كل العاملين فى هذه الفقرات من هدم السرداق فأخرجوا مهمم

أطفال أطربوا العالم —

الكبير فى الضرب والتلطيش للمطرب الصغير الذى تسبب فى قطع رزقهم الليلة وربما كل ليلة بعدها.

انتقل فوزى إلى المدرسة الثانوية بطنطا، وقد سبقته إليها شهرته كمطرب محلى، ومثلما حدث فى المدرسة الابتدائية، كان التلاميذ يتجمعون حوله فى الفسحة وبين الحصص ليغنى لهم.

وحدث أن جاءت فرقة موسيقية بقيادة عازف الإيقاع الشهير مصطفى العقاد فى رحلة عمل إلى طنطا، واستمعوا إلى صوت الصبى وتحمس له العقاد فاقترح عليه السفر إلى القاهرة للالتحاق بمعهد الموسيقى الشرقى وكان عضواً لمجلس إدارته، فذهب الصبى إلى والدته التى طالما شجعتة على الغناء بعيداً عن أسمع والده الذى لو علم بنية ابنه لقطع خبره. فاحتراف الفن عيب لا يتفق مع تقاليد أسرة «الحو» أكبر أسر كفر أبو جندى غربية وأغناها. ومرة اشترى فوزى آلة عود، فلما لمحها والده، كان مصيره كمصير عود محمد عبد الوهاب فى فيلم «يحيا الحب» عندما بكاه بأغنيته «الظلم دا كان ليه».

انخلع قلب الأم عندما أخبرها ابنها بنيته على السفر للقاهرة، وحاولت إثناءه عن عزمه، لكنها فشلت. وسافر الولد إلى بلاد الغربية.. إلى البندر، إلى مصر، واتجه إلى مصطفى العقاد فى المعهد وفوجيء بأن مساعدته لن تزيد على تقديم طلب ليوافق المعهد على دخوله امتحان القبول. وكان يتصور أنه بواسطة العقاد سوف يأتى من طنطا إلى فصل سنة أولى أول فى المعهد بدون امتحان، وغنى الصبى أمام لجنة كبيرة، كانت مكونة برئاسة مصطفى بك رضا رئيس المعهد وعضوية د. محمد الحفنى وإبراهيم شفيق وصقر على وإبراهيم حجاج. غنى «كلنا بنحب القمر» لعبد الوهاب و «ياما أمر الفراق» لأم كلثوم، ولما طالبته اللجنة بغناء ما هو أقدم «موشحات» أدوار.. عاش لحظات صمت رهيب تفضحه عيونه بقولها «من قال لا أدرى فقد أفتى».

لكنه نجح، وتم قبوله طالباً بمعهد الموسيقى الشرقى فى الإسعاف ولم يكن الصبى المطرب يتصور أن بنجاحه قد خرج من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر. أين سيعيش؟.. وبماذا؟ لقد جاء من طنطا وكل زواده خمسة جنيهاً اقتربت من الفناء، إن لم يكن قد تم ذلك فعلا.

أمام مبنى المعهد، شارع التوفيقية وهو شارع تجارى وبه غرف كثيرة للإيجار بأسعار تناسب ميزانية أهل الريف الزائرين للقاهرة، وهو قريب لمحطة مصر. فلن يعانون كثيرا فى البحث عن «نومة» الفرش حصيرة وفوقها مرتبة. أما اللحاف فهو من الكماليات والأجر يومية قروش معدودات.

أرسل فوزى مكتوبا إلى والدته يسترحمها أن تمده بالعون المادى. فرق قلبها وقررت أن ترسل له مددا قدره جنيه شهري. وكانت ترسل له حوالة بريدية بالمبلغ. وكانت شقيقته «جمالات بهيجة» تضعها له فى أقرب مكتب حوالات بريدية. واحتفظت الأم والأخت بالسر حتى لا يصل للوالد.

صحيح أن الجنيه كان «مبلغ عال ومش ببال» فى ذلك الزمان. لكن ليس إلى الحد الذى يكفى شابا فى غربة مدة شهر. يأكل ويشرب وينام ويتعلم. أما الأكل فقد وجد له حلا وهو عمل «أبونيه» عند محل حلوانى فى شارع التوفيقية ليأكل فيه طوال الشهر بسبوسة، وجاتوه، وهريسة، وأرز بلبن. ولما يصل المدد من البلد يدفع «الإنجرارة» الشهرية.

كان على فوزى أن يبحث عن طريق جديد يضمن له كسب قوت يومه بعيدا عن المعجونات والحلويات. ويدفع مصاريف المعهد. فأتجه إلى الغناء فى مسارح الليل، وكان مسرح بديعة مصابنى هو المأوى والمصنع لكثير من نجوم الغناء والتأليف والحركة والأداء الاستعراضى، التحق بالعمل فيه بأجر قدره سبعة جنيهات شهريا. وانطلق. ويكفى أنه أصبح زميلا لفريد الأطرش وإبراهيم حمودة وعبد الغنى السيد وإسماعيل يس ومحمود شكوكو والمنولوجست سيد سليمان وثريا حلمى وتحية كاربوكا وسامية جمال ومحمود الشريف وعزت الجاهلى. والفرقة فى موسم الصيف تعمل فى شارع كازينو الجهاد. وفى الشتاء على مسرح «سويت ميلودى» فى شارع عماد الدين.

وكان قلب فوزى ضعيفا من ناحية الجنس الناعم. ففي وسط هذا المناخ الفنى الكبير. خفق قلبه لزميلته الراقصة «لولا»، والصب تفضحه عيونهم. وصل إلى الزملاء والزميلات. ومنهن إلى صاحبة الفرقة وكانت تلتزم فى إدارتها بقانون صارم غير قابل للنقض أو الإبرام، هو ممنوع الحب، العلاقات العاطفية الخاصة بين أفراد الفرقة. وإذ ضبط عضو مُتلبسا بالحب. فالعقوبة واضحة ومحددة هى الفصل.

فصلت بديعة «لولا» فاعترض محمد فوزى، وأخذته الشهامة الفلاحى، واستقال احتجاجاً على ذلك. ووظف فى السبعة جنيهاً من أجل الحب.

وكانت الفرق المتجولة فى أقاليم مصر ومديرياتها قد تكونت لتمارس نشاطها كما فعلت فرقة «على الله الشفاء» فى فيلم «حب وجنون» فاتفق فوزى ولولا على تكوين فرقة، هى ترقص وهو يغنى من ألقائه، وبعض أغنيات الآخرين. وعادت الفلوس تجرى. ثم عادا إلى القاهرة.

التحق فوزى بفرقة فاطمة رشدى مطرباً واقتنعت به ملحناً. وكانت أول من غنى له على المسارح أو فى السينما. ولحن لها اسكتشات ومسرحيات. استمر فى الفرقة مدة سنة كاملة وألحقته بالفرقة القومية المصرية كدوبلير للمطرب إبراهيم حمودة بطل أوبريت «شهرزاد» من تأليف بيرم التونسي وألحان سيد درويش.

لم يلتقط فوزى أنفاسه فى الفرقة القومية، ولم يعط الفرصة ليفرح بتخرجه فى هذا العام من معهد الموسيقى الشرقى وتعويضه عن فشله فى الحصول على شهادة التوجيهية من مدرسة طنطا الثانوية، فقد أصيب إبراهيم حمودة بمرض منعه من الوقوف على المسرح فى ليلة افتتاح أوبريت «شهرزاد»، ووقف الدوبلير محمد فوزى مكانه دون أن يأخذ الوقت اللازم ليحفظ الألحان الوطنية والعاطفية الصعبة فى الأوبريت الكبير. وكانت النتيجة فشل ذريع.

لم يكن الغناء المسرحى محبوباً عند فوزى. فقد مارسه فى مسرح بديعة، وفرقة فاطمة رشدى، ثم ابتعد عنه طوال تاريخه. ولما غنى فى البرنامج التليفزيونى «على شط النيل» فى أواخر حياته لم يظهر فى المستوى الفنى المعهود عنه، فقد كان يخشى الوقوف على المسرح ويخشى الجمهور على الرغم من حضوره المسرحى وحب الجمهور له. ذلك الحب الذى كان مبنياً على أساس نجوميته فى السينما أكثر من نجوميته كمطرب.

ظل فوزى يغنى فى حفلة هنا وسهرة هناك. وفى واحدة من هذه الحفلات كان من بين الجمهور يوسف بك وهبى الذى لفت نظره الصوت الجميل المتكهن والحضور الكبير. فأسند إليه دوراً ثانوياً فى فيلم «سيف الجلاد» ١٩٤٤، وبأحر قدره ٨٠ جنيهاً.

وابتداً مشوار السينما ووصل أجره إلى ١٥٠٠ جنيه فى رابع أفلامه «أصحاب السعادة» ثم إلى خمسة آلاف جنيه. وقد قام فوزى ببطولة ٣٦ فيلماً بدأت بأدوار صغيرة نسبياً فى الأفلام الثلاثة الأولى «سيف الجلاد» و«قبلة فى لبنان» و«مجد ودروع».

أما غزارة الإنتاج من خلال أفلامه فكان مرجعه إلى قدرته على التلحين بسرعة واضحة ، حتى إنه كان ينتهى من لحنين فى اليوم الواحد ، وربما ساعده على ذلك أنه كان يلتزم البساطة فى التعبير عن المعانى التى يلحنها ، فلا يحتاج إلى وقت من أجل الزخرفة أو الغلظة فى وضع اللزمات الموسيقية أو مقدمة الألبان .

ظهر محمد فوزى عام ١٩٤٨ فى خمسة أفلام هى : «حب وجنون» و «الروح والجسد» و «بنت حظ» و «نرجس» كما عمل فى السنة التالية فى أربعة أفلام هى «المجنونة» و «المرأة شيطان» و «فاطمة ماريكا وراشيل» و «صاحبة الملايم» ، وفى عام ١٩٥٠ ظهر فى أربعة أفلام أيضا . هى : «آه م الرجالة» و «بنت باريس» و «الآنسة ماما» و «غرام راقصة» .

فى أفلامه الستة والثلاثين غنى محمد فوزى «احنا عشاق النور» ، «أزاي وامتى» ، «آه من الستات» ، «أبتسمى للدنيا» ، «أدى الميعاد» ، «الحيرة ليه» ، «آه يا حبيبى منك» «أحلف لك ميت يميين» ، «روحى وروحك» ، «اللى يهواك اهواه» ، «القمر وانت» ، «السعد واعدنى» ، «الليلة حلوة» ، «الحب له أيام» ، «انت حبيبى» ، «أى والله» ، «الشوق» ، «بصيت لى فى أول يوم» ، «بتقوللى إيه حيجرى» ، «تمللى فى قلبى» ، «صعبان عليه» ، «طير بينا يا قلبى» ، «جانى اللى بحبه» ، «جمالك بيزيد فى عنيه» ، «حبيبى وعنيه» ، «حبك خلانى روح» ، «حبيب روحى» ، «حبنى أنت كمان» ، «حبايب» ، «حبيبى حلفنى أجيلك» ، «دارى العيون» ، «دارى الهوى» ، «سهرانة عيونه» ، «شغلته» ، «ع الباب أنا» ، «غنى للدنيا» ، «فين اللى شغل بالى» ، «فين قلبى» ، «ليه عشم وياك يا جميل» ، «من نظرة عين» ، «مال القمر ماله» ، «مين هيه» ، «ويلك .. ويلك» ، «والله والله يا حلو زمان» ، «وحياتك أنت» ، «ليه أنسك» ، «يا ليالى الشوق» ، «ياللى افكرت وجيت تانى» ، «يا نور جديد» ، «ياللى شغلت القلب معاكى» ، «يا جميل ياللى هنا» ، «يا سلام يا سلام» ، «يا جارحة القلب» ، «يا هل ترى» ، «يامين يقولها» ، «ياللى أنت بعيد» ، «يا حبيبى خد عينيه» ، «قلوبى بهواك مشغول» ، «قلوبى بينادى عليكى» .

قدم محمد فوزى الفنانة شادية فى فيلم «العقل فى إجازة» الذى أخرجه حلمى رفلة عام ١٩٤٧ ، وشاركت معه فى أفلام «صاحبة الملايم» ، «الزوجة السابعة» ، «بنات حواء» ، ووضعها على طريق النجومية المبكرة من خلال لون غنائى جمع بين الشقاوة وخفة الظل البريئة .

كان فوزى يقول عن شادية إنها ابنته مثل القطة الودودة. عيناها تمتلئ بالمرح والشقاوة. وقد قدمها فى فيلم «العقل فى إجازة» وكان بمثابة أول فيلم تقدمه، وقدم لها ألحان الفيلم ودربها. وكانت تأتى لتجلس معه ومعها هدى سلطان لإجراء البروفات. وقد اتبعت شادية نهج مدرسة فوزى الفنية فى الأغانى التى تحمل الروح المرحة الخفيفة على أذن المستمع والتى يمكن أن يستمع إليها فى أى وقت ومنها «أنا بنت حلوة» و «لقيته وهويته» و «لا يا سى أحمد» و «كثروا الخطاب» و «الحب له أيام».

وكان محمد فوزى قد اعترض بشدة على أن تحترف شقيقته جمالات بهيجة الغناء، وقاطعها لهذا السبب، لكنها شقت طريقها باسم «هدى سلطان» ونجحت فى السينما والغناء وتزوجت من النجم الكبير فريد شوقى..

كانت هدى صديقة لمديحة يسرى الزوجة الثانية لمحمد فوزى، وكانت تطمئن على شقيقها الأكبر منها وتتابع أخباره دون أن يدري بذلك. وفى يوم، علمت هدى بمرض شقيقها، وكانت حاملا فى ابنتها ناهد فريد شوقى، اتصلت بمديحة ترجوها أن تقنع زوجها أن يسامحها وقالت إنها لم تعد تحتمل البعاد عن شقيقها أكثر من ذلك. ولا تحتمل أن يكون مريضا دون أن تزوره، فقالت لها مديحة: تعالى وفاجئيه. وفعلت ذلك.. فاستقبلها فوزى بالأحضان وسط الدموع من كلا الشقيقين، وعاتبها على بعادها عنه وشرح لها وجهة نظره واعتراضه على احترافها الفن، ولما علم أنها بخير وقد تزوجت رجلا محترما نسى موقفه ضدها، وأصبح فريد شوقى من أعز أصدقائه.

بعد أن تم الصلح بينهما، دعتة لحضور حفل عيد ميلادها فذهب لأول مرة إلى منزلها متأخرا، وجاء حاملا عوده. ولما بدأت فقرة تقديم المدعوين الهدايا لصاحبة عيد الميلاد، أمسك العود وغنى لها «لامونى وارتضيت باللوم.. وفى عيونى اشتبهت النوم، ولامونى» وقال لها لم أجد أحسن من هذا اللحن أقدمه لك هدية لعيد ميلادك.

وبدأ التعاون الفنى فغننت هدى من ألحانه «يا ضاربين الودع»، «عمرى ما دقت الحب»، «متع شبابك بالأمل»، «محسودة فى حبك»، «يا مجريين الحب»، «إن كان القلب وهبتو لك»، «ضحيت بحبك»، «يا حلوة الورد»، «معرفش يا نينه»، «مافيناش من قولة آه»، «إنسانى»، «عيونك بدها تسلم»، «مكتوب الهوى»، «قلبي يا قلبي»، «بعد الأم ما فيش حنية».

ثم أنتج محمد فوزى فيلم «فتوات الحسينية» لهدى سلطان وزوجها فريد شوقى عام ١٩٥٤.

### لـلـلـ

تقدم محمد فوزى إلى الإذاعة ليغنى بها، وعقدت لجنة لاختبار صوته. ورسب. لكنها اعتمدته ملحنًا. ولم تعتمد كمطرب إلا بعد قيام ثورة ١٩٥٢. واستهل نشاطه بها بمونولوج «بين النخيل والبدر طالع» من تأليف قاسم مظهر. وتلحين سعيد فؤاد مدرس آلة العود بمعهد الموسيقى الشرقى.

واستقبل جمهور الراديو صوت فوزى استقبالا حسنا وقد استمعوا فيه نبرة جديدة وحسا مرهفا وأداء معبرا مرحا فيه طرب وشجن وحنان.

ولحن محمد فوزى عددا من الأغاني للإذاعة من ألوان مختلفة كالقصيدة الدينية والوطنية. والأغنية الشعبية والخفيفة. منها ما لحنه وغناه، ومنها ما لحنه لغيره من المطربين.

القصائد الدينية هي استغاثات - تلبية - سبحان من عنت الوجوه - يا غفور، وكلها من الشعر القديم. ومن أشعار محمود حسن إسماعيل. لحن وغنى قصائد «توبة الأيام»، «تسابيح»، «دعاء»، «ربى سبحانك» ومن شعر عبد الله شمس الدين غنى «يا رب يا سند الضعاف».

كما غنى «بشراك يا صايم» تأليف بيرم التونسي و «مناجاة» تأليف حيرم الغمراوى و «هاتو الفوانيس يا ولاد» تأليف نبيلة قنديل.

من تأليف صلاح فايز غنى محمد فوزى للإذاعة: «بعد بيتنا بيت كمان» و «يا ولاد بلدنا يوم الخميس» و «قلبي اللي انت ناسيه» و «اللى حسبته لقيته» والأغنية الوطنية «قد القول».

ولحن محمد فوزى للإذاعة ٣ برامج غنائية هي «الصديق» تأليف عبد الفتاح مصطفى، إخراج حسنى الحديدى، غناء نجاح سلام وسعاد محمد و «قيس ولبنى» تأليف عزيز أباطة و «شجرة الحب» تأليف بيرم التونسي.

ولحن «شهر الكرم» لأحمد سامى و «زغرودة عشان العروسة» لإلهام بديع، وغنى محمد قنديل من ألحان فوزى «عشان سواد العين»، «ياللى جمالك عجب»، «يا غزالة». أما محمد عبد المطلب فغنى «ساكن فى حى السيدة وحبیبى ساكن فى الحسين» و «لا قابلتك

ولا كلمتك». وغنى له ماهر العطار «التليفون» وعبد اللطيف التلياني «خفة دمك مش على حد».

وغنت أحلام من ألحان فوزى «سهرت أيام وليالي» و «فرحانة بحبي» و «على أسيوط»، كما غنت نجاح سلام من ألحانه «ياني منك ياني»، وغنت نجاة الصغيرة «مش ممكن أسامحك»، «غنيت للناس»، و «هالله هالله». أما نجاة على فغنت «عاشق السهر» و «قصيدة وداع»، وغنت وردة «الله بيقدرنى عليك» وسعاد محمد «أنا ناسية أهلى وناسى» و «شوف بحبك قد إيه» و «غنوة لبلدنا» و «كلمة حب». وغنت شهرزاد «بعدين حقولك»، وغنت شريفة فاضل «آه يانا منك» و «خد منى وردة» و «عاجبنى»، وغنت المجموعة «طير يا طابير» و «شد الحزام»، وغنى عبد الغنى السيد «الحب ضناني».

أما المطربات اللاتي شاركن فوزى بطولة أفلامه فهن ليلي مراد، وصباح، ونور الهدى، وفايزة أحمد، ونازك. بالإضافة إلى شادية. فقد ظهرت صباح معه فى أفلام «عدو المرأة» و «صباح الخير» و «الآنسة ماما» و «الحب فى خطر» و «فاعل خير» و «ثورة المدينة».

وشاركته ليلي مراد بطولة فيلمي «المجنونة» و «ورد الغرام». أما نور الهدى فقد قاسمته بطولة أفلام «مجد ودموع» و «قبلى يا أبى» و «نرجس» و «غرام راقصة»، وغنت معه وفايزة أحمد فى آخر أفلامه «ليلى بنت الشاطىء» اسكتش «النبع» و «يا ساهر الليل»، كما ظهرت معه نازك فى فيلم «كل دقة فى قلبى» وغنت أغنية بهذا العنوان وشاركته غناء «أحن أم فى الدنيا قلبك انتى يا أمى».

فى زمن محمد فوزى، كان الغناء الوطنى فنا محبوبا إلى نفس المطرب والمستمع وعبرت الأغنية عن إنجازات وإحساسات شعبنا العربى. وكان محمد فوزى يتحلى بروح وطنية عالية وحب صادق لبلده والأشقاء العرب، وله ٢٦ أغنية وطنية فى مكتبة الإذاعة المصرية، بالإضافة إلى النشيد القومى لدولة الجزائر.

أما أغاني الإذاعة فمنها أغنيات «أرض بلادى»، «مصر فوق الجميع»، «عيد الأحرار»، «الشعب الحر»، «الحياة ثورة»، «شعب لازم ينتصر»، «رسالة إلى جندى»، «علم الثورة»، «ياطالع الشجرة» و «قصيدته الشهيرة» «بلدى أحبتك يا بلدى.. حبا فى الأهل وفى الولد».

ولما سافر للعلاج فى مرضه قبل الأخير لحن أثناء عودته على الباخرة «جايلك بشوق يا بلادى من بعيد.. جايلك وحاسس إنسى مخلوق جديد. عديت بحور.. خطيت جبال..

دست السحاب.. ومشيت على جرحى.. وأنا عز الشباب.. عشان أبوس فيك الشوق.. حبة تراب.. جاي من بعيد.. إنسان جديد.. جايك وأول مرة أحس إني سعيد.. يا أم البلاد.. ولحن محمد فوزى النشيد القومي للجزائر فى أقل من ساعتين. وكان نص النشيد قد أرسلته الحكومة الجزائرية وطلبت تكليف أحد الملحنين المصريين بتلحينه. فلما علم فوزى بالخبر، اتصل بمحمد حسن الشجاعى، مراقب الموسيقى والغناء وطلب منه أن يقوم هو بهذا العمل، وكان الشجاعى يرى أن فوزى قد تخصص فى الأغانى العاطفية والخفيفة. لكن فوزى ألح فى طلبه حتى وافق الشجاعى. وبعد ساعتين اتصل فوزى بالإذاعى أحمد سعيد رئيس إذاعة صوت العرب ليخبره بأن اللحن قد تم إنجازه، وأن الفرقة الموسيقية أجرت البروفة عليه ويرغب فى تسجيله فوراً. فكان له ما أراد.

كان ذلك عام ١٩٥٦ عندما كتب الشاعر الجزائرى مفدى زكريا نشيدا وطنيا يعبر عن الثورة الجزائرية يقول فيه: «قسما بالنازلات الماحقات والدماء الذاكيات الطاهرات - والبنود اللامعات الخافقات - فى الجبال الشامخات الشاهقات - نحن ثرنا فحياة أومعات - وعقدنا العزم أن تحيا الجزائر - فاشهدوا، فاشهدوا.. فاشهدوا».

وكان الملحن التونسى على السريتى قد لحن هذه الكلمات بلحن رأى الجزائريون أنه جاء أقل وأضعف من معانيها، فاتجه الشاعر مفدى زكريا إلى القاهرة لإعادة تلحينه مرة أخرى. واتجه للإذاعة المصرية ليصبح اللحن من نصيب محمد فوزى الذى قدمه للشعب الجزائرى كهدية ورفض أن يتعاطى عنه أجرا. وقد طلب الثوار الجزائريون من فوزى غناء النشيد بصوته، لكنه رفض وفضل أن يسمعه بصوت الثوار.

وفى مجال التلحين للدراما لحن محمد فوزى مسرحية للأطفال بعنوان «صحيح لما ينجح» لمسرح العرائس، وأوبريت لهم أيضا بعنوان «الأرنب والسلحفاة» أنتجه التليفزيون المصرى.

□□□

فى أوائل الأربعينيات كان محمد فوزى من سكان حى السكاكىنى بالعباسية ولأن الحرب العالمية الثانية قد بدأت بشاؤها فى الظهور. فقد قررت أسرة الآنسة هداية النزوح إلى القاهرة. فهى أكثر أمانا من الإسكندرية وبعدا عن القوات البحرية. للدول المتحاربة. كان فوزى لم يبلغ من العمر إلا ٢٥ سنة. أما هى فعمرها ١٦ سنة. تعرف بعائلتها،

أطفال أطربوا العالم —

وطلبها للزواج ورفضت أسرتها. فهو فنان والفن مهنة غير مرغوب فيها عند العائلات في ذلك الزمن. ثم إنه فنان غير معروف. يا دوب يعمل دوبليرا لإبراهيم حمودة في الفرقة القومية. لكن هداية تمسكت بفوزى. ورضخت الأسرة تلبية لرغبتها.

وتزوج فوزى هداية. وعاشا في شقة صغيرة في السكاكيني ثم اتسعت فيما بعد وانتقلت إلى شارع الهرم. ولا ضيوف من الوسط الفني فذلك لا يتناسب مع عادات أولاد طنطا. ولا حفلات ولا مهرجانات. والحياة من الشغل إلى البيت. ومن البيت للشغل.

استمرت الحياة تسع سنوات أثمرت عن ثلاثة أبناء هم نبيل وكان مهندس إلكترونيات. وسمير مهندس هاجر إلى هولندا. ومنير طبيب أمراض نساء وتوليد.

وكان محمد فوزى قد التقى مع مديحة يسرى في بطولة أفلام «قبلة في لبنان» ١٩٤٥. «فاطمة وماريكا وراشيل» ١٩٤٩. ثم فيلم «نهاية قصة» ١٩٥١ بعدها صارحها المخرج حلمى رفلة الذى أخرج لفوزى كل أفلام تلك الفترة بحب محمد فوزى لها. بعدها تقدم فوزى وعرض عليها الزواج ووافقت. وكانت تقوم بدور الزوجة والسكرتيرة التى تحفظ «الراكورات» فى الأفلام وتحافظ على النوت الموسيقية وأثمرت علاقتهما الزوجية طفلا. هو «عمرو»، فلما وقع الطلاق بينهما فى نوفمبر ١٩٥٨ اشترطت أن يظل عمرو فى حضانتها. ووافق والده، وأصبح عمرو بطل مصر فى الكاراتيه. ومات فى ريعان شبابه فى حادث سيارة.

وتزوج محمد فوزى للمرة الثالثة عام ١٩٥٩. وحكت العروسة وهى الفنانة كريمة الشهيرة بفاتنة المعادى قصة هذا الزواج فقالت:

قدمنى المخرج عاطف سالم للسينما فى فيلم «وحش البحر» عام ١٩٥٧ ثم ظهرت فى أفلام «ماليش غيرك»، «الملاك الصغير»، «حلاق السيدات»، وأقنعنى كل من حولى بأننى أمتلك صوتا جميلا يصلح للغناء. واتفقت مع الموسيقار بليغ حمدى على تسجيل أسطوانة من ألحانه. حددت موعدا معه فى شقتى بعمارة فريد الأطرش لعمل بروفة على اللحن الذى أعده لى فجلست أنتظره على الأرض فى منزلى. وأنا أؤندن بنغمات اللحن. وفوجئت ببليغ يدخل الحجره ومعه محمد فوزى. فقد كان بليغ تلميذا له، وأذهلتنى مفاجأة وجود محمد فوزى. معشوقى منذ طفولتى وصباى فى بيتى. تسمرت فى مكانى بلا حراك. وأنا أنظر إليهما باندهاش. وتذكرت فى لحظة حلمى القديم بأن المس يد محمد فوزى وأقف

— أطفال أطربوا العالم —

أمامه . ولما مد يده ليسلم عليّ لم أتمكن من رد السلام بأمثل . بل لم أمد يدي نحوه أصلا . حتى جملة «أهلا وسهلا» لم أنطقها . حاول بليغ أن ينقذ الموقف فقال لي : يلا يا كريمة نبتدى ، فلم أرد عليه . وبقيت على نفس موقفى أنظر فى وجه محمد فوزى بدون أى كلام .. وانفعل محمد فوزى ، وأخذ عنى فكرة خاطئة وتصور إننى إنسانة مستهترّة أو غير طبيعىة واستأذن فى الخروج بعد دقائق فخرج معه بليغ .

بعد دقائق من مغادرتهما ، رن جرس التليفون والمتحدث بليغ ، قال وهو يعنقنى : انتى ضيعتى الفرصة .. إزاي متغنيش قدام محمد فوزى . وهو جاى مخصوص يسمعك ، فرددت بسرعة . وقلت : إنت ما تعرفش إيه اللى حصل لى .. إلّا الراجل ده .. أنا بحبه من الطفولة .. بحبه طول عمرى . ولما شفته وجها لوجه إتلجمت . وما قدرتش أقوله لا أهلا ولا سهلا .. وكمان عايزنى أغنى قدامه؟!!

وفوجئت - والكلام مازال على لسان كريمة - بصوت محمد فوزى يرد على من سماعة ثانية . فقلقت السماعه فى وجهه فورا ليتصل بى مرة أخرى ويقول لى مباشرة : معقولة تكونى فاتنة المعادى ولسة ساذجة وبتحبى الحب الأفلاطونى؟! .. وأضاف : أنا سعيد برغم الفكرة الغريبة التى أخذتها عنك فى الأول . بس حقيقى يا كريمة هانم انتى بتحبيبنى فعلا؟! فرددت عليه : أيوه!

وانتهت المكالمه لأعيش بعدها فى حلم طويل ، لم أرد أن أصحو منه . كنت وقتها قد حصلت على الطلاق من زوجى . ولم أكن أتخيل أن فى الإمكان أن ألتقى بمعشوقى محمد فوزى ، فهو لم يكن من المترددين على جلسات الوسط الفنى . ولا يزور زملاءه بصفة دائمة .

طلبت من صديقتى الفنانة مريم فخر الدين أن تدعوه لحفل عيد ميلادها . وطلبت من الفنان رشدى أباطة أن يضع أسطوانة لموسيقى «سلو» ويطلب من فوزى أن يرقص معى .. وتلامست يدانا فشعرت ببدى باردة كالثلج وارتعشت من فرط الارتباك ، وانتقل ارتباكى إليه وسألته :

انت ليه ما اتجوزتش بعد طلاقك من مديحة يسرى؟

فأجاب : لأنى لازم أتجوز واحدة مش من الوسط الفنى . شعرها أصفر وعيونها زرقاء وطويلة وأول حرف من اسمها «كاف» .

– كريمة؟

قال: آه. تقبلي تتجوزيني؟!!

قلت: أنت بتتكلم جد؟

أجاب: آه.

وبعد أسابيع قررنا الزواج، وكان أول ما طلبه منى هو اعتزال الفن كشرط أساسى للزواج، وافقت.. وتم عقد القران فى مكتبه بعمارة «الايموبيليا» وتم الزواج لأصبح إلى جوار حبيبى وفتى أحلام طفولتى.

وتقول كريمة: اكتشفت أن محمد فوزى زوج غيور ووضع لى قائمة بالمنوعات وهى حفلات أم كلثوم، وزيارة الأصدقاء. وحضور مباريات كرة القدم. وكنت زملاوية متعصبة وأحضر كل المباريات فى الملاعب. وقد وافقت أيضًا على كل ذلك وعشنا فى تبات ونبات إلى أن أعلن قرار تأمين مصنعه. فأصبحنا زبائن دائمين للمستشفيات.

فى مستشفى سانت مارى فى لندن، تعلمت كريمة مهنة التمريض لرعاية زوجها ولم يشعر فوزى بتحسّن فى الحالة. فاتجه إلى أمريكا بحثًا فيها عن علاج ووجده باستعمال دواء مستحدث لم يتم تجربته بعد، لكنه ارتاح عليه وعاد لبلده على أن يعود بعد شهرين، وبدلا من العودة لأمريكا، عاد إلى لندن، حيث اعترض الأطباء على طريقة العلاج الأمريكى القورى. وألزموه باتباع نظامهم القديم، فانهارت صحته وعاد للقاهرة يتملكه إحساسا بقرب النهاية.

كتب فوزى رسالة إلى جمهوره فى مصر والبلاد العربية ونشرها فى عدة صحف يقول فيها: «الموت علينا حق. فإذا لم نمت اليوم، فسوف نموت غدًا.. وأحمد الله إني مؤمن بربى، فلا أخاف الموت الذى قد يريحنى من هذه الآلام التى أعانيها. فإذا مت أموت قريـر العين، فقد أديت واجبى نحو بلدى. وكنت أتمنى أن أؤدى الكثير. لكن إرادة الله فوق كل إرادة، والأعمار بيد الله. لن يطيلها الطب. ولكننى لجأت إلى العلاج حتى لا أكون مقصرًا فى حق نفسى. وفى حق مستقبل أولادى الذين لا يزالون يطلبون العلم فى القاهرة. إن أكبرهم نبيل الطالب بالسنة الثانية بكلية الهندسة، ويليه سمير وهو بالسنة الأولى معه. وثالثهم منير بالسنة الثانية الثانوية ورابعهم الطفل عمرو.

إننى حين أتركهم أشعر بالاطمئنان بعد أن كفلت الدولة أسر الفنانين.

تحياتي لكل إنسان أعرفه فى القاهرة. وغير القاهرة. فقد نلتقى . وقد لا نلتقى ..

تحياتي لكل إنسان أحببى ورفع يده إلى السماء من أجلي.

وأخيراً تحياتى لأولادى وأسرتى؟.

بعد خمسة أيام من هذا النشر وفى يوم ٢٠ أكتوبر ١٩٦٦ توفى المليونير الشحات .. محمد فوزى تاركاً ثروة سينمائية وغنائية . وسيارة شيفروليه ٥٨ وفيلا وبعض الأسهم فى مشروعات تجارية مختلفة وإيراد شهري قدره ألف جنيه. وترك ما هو أهم . وهو سيرته الحسنة وقلبه الأبيض ومعاملاته المثالية لزملائه الفنانين . وهو الذى انشغل بمصنعه فتنازل عن أغنية «أنساك يا سلام» لبليغ حمدى ليكمل لحنها ويذكره عند أم كلثوم . بعد أن وقف بجواره فى أول مشواره فى التلحين وأنتج له أغنية «ما تحبنيش بالشكل دا» التى غنتها فائزة أحمد.

كذلك استضاف فوزى لحن محمد الموجى لفائزة أحمد «يا لاسمرانى» فى فيلم «ليلي بنت الشاطيء» وكان هو منتجها وبطله وملحنه. كما قدم مطرباً منافساً . فى فيلم «كل دقة فى قلبى» وهو المطرب أحمد فؤاد . ولم يعترض فى أن يشارك رياض السنباطى ومحمد عبدالوهاب ومحمد القصبجى بالتلحين لنور الهدى فى فيلمه «قبلنى يا أبى» .

وكان محمد فوزى يكتب اسم نور الهدى فى مقدمات الأفلام التى ظهرت معه فيها . قبل اسمه . احتراماً لتاريخها الفنى وأقدميتها بالنسبة له . مع أنه كان المنتج والبطل والملحن لهذه الأفلام.

كان محمد فوزى طرازاً خاصاً من الفنانين العرب . انفراداً بتقديم لون سينمائى وغنائى متميز فى جوهره . مصرى فى طابعه .

□□□